

الخصائص

وسبب هذه الحمول والإضافات والإلحاقات كثيرة هذه اللغة وسعتها وغلبة حاجة أهلها إلى التصرف فيها والتّركّح في اثنائها لمّا يلبسونه ويكثّرون استعماله من الكلام المنثور والشعر الموزون والخطّاب والسّجّوع ولقوّة إحساسهم في كلّ شئ شيئا وتخيّلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألّف مذاهبهم .

وعلى هذا ما مُنِع الصرف من الأسماء للشّـيـة اللفظيّ نحو أحمر وأصفر وأصرم وأحمد وتألّـب وتَنضُّب علّـمين لـمّا في ذلك من شـيـة لفظ الفعل فحذفوا التنوين من الإسم لمشابهته ما لا حرمة له في التنوين وهو الفعل والشـيـة اللفظيّ كثير وهذا كافٍ .

باب في الردّ على من ادّعى على العرب عنايتّها بالألفاظ وإغفالها المعاني .

أعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العريّة وأكرمها وأعلاها وأنزهها وإذا تأملته عرفت منه وبه ما يؤنق ويذهب في الاستحسان له كل مذهب بك .

وذلك أن العرب كما تُعزّي بألفاظها فُتصلحها وتهذّبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطّاب أخرى وبالأسماع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدّرا في نفوسها .

فأول ذلك عنايتها بألفاظها فإنها لمّا كانت عنوان معانيها وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحها ورتّبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون